﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢﴾ [سبأ: 32]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لـيـس بـعـد الاتِّهامِ إلّا ردُّهُ

لمّا ذكرتِ الآيةُ السابقةُ موقفَ الكافرين منَ الإصرارِ على الكفرِ، والتَّصريح برفضِ الإيمانِ بالكتُبِ المنزلةِ من الله تعالى، والانتقال إلى ذِكر حالِهم في نارِ جهنَّم؛ بسببِ ما اكتسبوه من الكفرِ والعنادِ، وبيان تلك المقاولة بين الذين استُضعفوا، والذين استكبروا، مع البدءِ بذكرِ ما قالهُ الذين استُضعِفوا مِنَ الأتباعِ وأراذل الكفّار؛ ناسب الانتقال إلى بيان ردِّ الذين استكبروا عليهم، لاستكمالِ المشهدِ، وبيان موقفِ النَّدامةِ والخزي في يوم الحسرةِ والخسارة.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: (كبر) أَصلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على خِلافِ الصِّغَرِ، يقالُ: هو كَبيرٌ، وكُبارٌ، وكُبّارٌ، قالَ تَعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢﴾ [نوح: 22]، ومِنَ الباب الكِبْرُ: العظمَةُ، وكذلكَ الكِبرياءُ، يُقالُ: ورِثوا المَجدَ كابرًا عَن كابرٍ، أَي: كَبيرًا عَن كَبيرٍ في الشَّرَفِ والعِزِّ[1]، والكِبرُ والتَّكَبُّرُ والاستِكبارُ تتقارب، والاستِكبارُ على وجهين: أحدهما: أَن يَتَحَرَّى الإنسانُ، ويطلُبَ أَن يكونَ كَبيرًا، وذَلِكَ مَتى كانَ على ما يجبُ، وفي المَكان الَّذي يجبُ، وفي الوَقْت الَّذي يجبُ، فَهوَ مَحْمود، والثّاني: أن يتشبَّع، فيُظهر من نفسِهِ ما ليس له، وهو مذمومٌ، وعليه ما وردَ في القرآن، قال تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ [البقرة: 34]، وقال: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (كبر).

[البقرة: 87]، وقال: ﴿وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧﴾ [نوح: 7][1]، والمراد بالمستكبرين هنا: القادةُ والكبراءُ وأصحاب النفوذ.

2) ﴿ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾: (ضعف) أَصلٌ يَدُلُّ عَلَى خِلافِ القوَّةِ، يُقالُ: ضَعُفَ يَضْعُفُ، ورَجُلٌ ضَعيفٌ، وقَوْمٌ ضُعَفاءُ وضِعافٌ[2]، قال تعالى: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ۝٧٣﴾ [الحج: 73]، والضَّعْفُ قد يكون في النَّفس، وفي البدن[3]، وفي الحال، والضَّعْفُ والضُّعْفُ لغتان، قال: ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ [الأنفال: 66]، واسْتَضْعَفْتُهُ: وجدتُهُ ضَعيفًا، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ [النساء: 75][4]، والمراد بـ ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾: أتباعُ السّادةِ ممَّن يسمعون كلامَهم، ويُنفِّذون أوامرَهم، ويلتزمون أحكامَهم، فلا يعترضون، ولا يُخالفون.

3) ﴿صَدَدۡنَٰكُمۡ﴾: (صدد) مُعْظَمُ بابِهِ يَؤولُ إلَى إعراضٍ وعُدولٍ، فالصَّدُّ: الإعراضُ، يُقالُ: صَدَّ يَصُدُّ، وهوَ مَيلٌ إلَى أَحَدِ الجانِبَينِ، ثُمَّ تَقولُ: صَدَدْتُ فُلانًا عَنِ الأَمْرِ؛ إذا عَدَلْتَهُ عَنْهُ[5]، والصُّدودُ والصَّدُّ قد يكون انصرافًا عن الشَّيء وامتناعًا، نحو: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ۝٦١﴾ [النساء: 61]، وقد يكون صرفًا ومنعًا[6]، نحو: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: 24]، ونحو: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [محمد: 1]"[7] والمعنى في الآية: أنحن صرفْناكم ومنعْناكم عن الإيمان؟.

4) ﴿مُّجۡرِمِينَ﴾: (جرم) أَصلٌ واحِدٌ يدلُّ على القطعِ، والجُرْمُ والجَريمَةُ: الذَّنْبُ[8]، وأصل الجَرْم: قطعُ الثَّمرة عَن الشَّجر[9]، وأَجْرَمَ: صار ذا جُرم، واستُعيرَ ذلك لكلِّ اكتسابٍ مكروه، ومِنَ الإجرام قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩﴾ [المطففين: 29]، وقوله: ﴿فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي﴾ [هود: 35]، وقوله: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ۝٤٦﴾

(1) الراغب، مفردات القرآن: (كبر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور: لسان العرب: (ضعف).
(3) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (ضعف).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (ضعف).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (صد).
(6) الجوهري، الصحاح: (صد).
(7) الراغب، مفردات القرآن: (صدد).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح: (جرم).
(9) الراغب، مفردات القرآن، وابن منظور، لسان العرب: (جرم).

[الرسلات: 46][1]، والمعنى في الآيةِ: مرتكبونَ للجرائمِ مِنَ القتلِ وتعذيبِ المؤمنين؛ لأنَّكم ترغبون بذلك، وتميلونَ إليه بأخلاقِكم.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الرَّغبةُ الأخلاقيَّة في الإجـرامِ هي سببُ كفرِ أتباع المستكبرين

توضِّحُ الآيةُ الكريمةُ ردَّ المستكبرين مِنَ المشركين على اتِّهام الضُّعفاء لهم بأنَّهم كانوا السَّببَ الرئيسَ وراء عدم إيمانِهم بالرُّسل وكفرِهم بالوحي المُنَزَّل عليهم من عندِ اللّه، وهو الأمرُ الذي أثار حفيظتَهم، ودفعهم إلى رفضِهِ، مع الجزم بأنَّ السَّببَ الحقيقيَّ في كفر الضُّعفاءِ يعود إلى تغلغلِ الإجرامِ فيهم، ومخالفتهم الفطرةَ التي فطر اللّهُ تعالى خلْقَهُ عليها، حتى اعتادوا الامتناعَ عن الإيمان، وأَلِفوا اتِّباع زعمائِهم، والسَّيرَ في ركابهم، والحرصَ على تقليدهم من غير فكرٍ ولا رَوِيَّةٍ، فتأتي هذه الآية لِتوَضِّح إنكارَ الذين استكبروا هذا الاتِّهام، ورفْضَ كونِهم السَّببَ في كفر العامَّة والمستضعفين، وإرجاعَهم ذلك إلى أنَّ الإجرامَ قد تغلغل في نفوسِ هؤلاء، فأقبلوا على الكفرِ مختارين، وساروا مع كبرائِهم في طريق الشِّرك غير مُكرَهين، ما يعني: أنَّهم يستحقّون العذاب الذي لاحتْ مقدِّماتُه، والعقاب الذي ظهرتْ بوادرُه[2].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### عِلَّةُ فصل الجملة عمّا قبلها:

المحاورةُ والمقاولة من أسـبـاب الـفـصـلِ بين الجملِ

فُصِلت جملةُ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عمّا قبلها لشبهِ كمال الاتِّصال بينهما، فالجملةُ تُجيبُ عن سؤال أثارته جملة: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سبأ: 31]، في نفس المتلقّي عن ردِّ الذين استكبروا على اتِّهام الضُّعفاء لهم

(1) الراغب، مفردات القرآن: (جرم).

(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 319، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 293 - 294.

بأنَّهم كانوا السَّببَ وراء كفرِهم بالوحي والرِّسالة، ومن ثمَّ فُصِلت عنها، كما يُفصَلُ الجوابُ عن السؤال[1].

### دلالةُ استعمالِ فعلِ القول:

بمجرَّد الاتِّهامِ يأتي ردُّ اللئام

آثر النَّظم الكريمُ استعمالَ فعلِ القولِ: ﴿قَالَ﴾ الموضوعِ لإبراز ما يُتَصوَّر في النَّفس[2]، وهو ما يدلُّ على أنَّ الذين استكبروا سارعوا إلى إنكار اتِّهام الذين استُضعِفوا لهم بأنَّهم السَّببُ في عدم إيمانِهم، وكفرِهم بالوحي المُنَزَّل على رُسل الله؛ لئلّا يكون في سكوتهم نوعٌ مِنَ الإقرار بالاتِّهام الموجَّه إليهم، والرضا بالعقاب الذي أعدَّه الله تعالى لمن فعل ذلك، فَأُتيَ بفعل القول؛ لبيانِ أنَّه جوابٌ وردٌّ ورفضٌ لمضمونِ التُّهمةِ.

### بلاغةُ الاستعارةِ التَّصريحيَّة:

يقينيَّةُ الأحداثِ المستقبليَّة تستدعي تنزيلَها منزلةَ الماضية

آثرَ النَّظم الكريمُ التَّعبيرَ بفعل القول ﴿قَالَ﴾ ماضيًا؛ مع أنَّ هذا الحدث لم يقع بعد، فسيقعُ بعد الحسابِ ودخول الكافرين النّار، وذلك لجريانِه في حكمِ ما وقع، فهو إخبارٌ عمّا سيكون يوم القيامةِ، وليقينيَّة وقوعها، فقد أتى بها النَّظمُ بهذه الصيغة، وفي اللفظِ استعارةٌ في الفعلِ حيث شبَّه القولَ في المستقبل بالقولِ في الماضي ليقينيَّة وقوعه، ثم استُعير لفظُ القول، واشتُقَّ منه فعلُ ﴿قَالَ﴾ على معنى (سيقولُ)، على سبيل الاستعارةِ التصريحيَّة التَّبعيَّة.

### براعةُ العدولِ في صيغِ الأفعال:

يحسُن مع تصويرِ المشهد المضارعُ ومع يقينيَّته الماضي

جاء الفعلُ مضارعًا في قَوْلِه تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ [سبأ: 31]، بينما جاءَ ماضيًا في قولِه تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾، مَعَ أَنَّ السُّؤالَ والتَّراجُعَ في القَوْلِ لَمْ يَقَعْ، كما أنَّ قولَ الذين استكبروا،

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 319.
(2) الراغب، مفردات القرآن: (قول).

والذين استُضْعِفوا فيما بعدُ، لم يقع كذلك، وذلك أنَّ الآيةَ الأولى صوَّرت المشهد ابتداءً، وهو المناسبُ لقوله تعالى في خطابِ النَّبيِّ ﷺ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [سبأ: 31]، أي: لو ترى حالَهم، وتتصوَّر مشهدَهم، وهم على تلك الحالِ التي يتراجعون فيها القولَ، ثمَّ لمّا أخبر عن ردِّ بعضِهم على بعضٍ؛ آثرَ الماضي؛ لِما فيه من تحقيقِ الأمر ويقينيَّتِه، فأتى كلُّ فعلٍ مع ما يُناسبُه مِنَ المَعاني والدِّلالات.

### نكتةُ التَّعبير بالاسم الموصول:

تعليلُ ذَمِّ المستكبرين وبيانُ سببِ ما بهم مِنْ عذابٍ وهَوانٍ

جاءَ التَّعبير بالاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ دون الاسم الظّاهرِ، فلم يقل: (المستكبرون)؛ وذلك ليُتَوَصَّل بما في حيِّزه مِنَ الصِّلة إلى ذمِّهم، وبيانِ السَّبب فيما نَزَل بهم مِنْ ذُلٍّ وهوانٍ وإيقافٍ للحساب والسُّؤال، ففي إعادة الموصولِ وصلتهِ مع كفاية الضَّميرِ إيذانٌ بأنَّهم قالوا ما قالوه بطريق العتوِّ والاستكبار[1]، الذي تشبَّعوا به، واعتادوا عليه، وهو ما لا يتحقَّق لو جاء التَّعبيرُ بالاسم المشتقِّ، فقيل: (المستكبرون)، أو عبَّر بالضَّمير، فقيل: (قالوا).

### دلالةُ استعمال مفردةِ الاستكبار مادةً وصيغةً:

المبالغةُ في الكِبر والغرور، فلمّا تحقَّق منهم ذلك؛ حقَّ لهم العذابُ

استعمل النَّظمُ الكريم فِعلَ الاستكبار: ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم بالغوا في الكِبر والتَّعظُّم عن عبادة الله، وقبول قولهِ المُنَزَّل على أنبيائه، واستتْبَعوا الضُّعفاء في الغيِّ والضَّلال[2]، والمعنى: الذين عَدّوا أَنْفُسَهُم كُبَراءَ، وهُم ما عَدّوا أَنْفُسَهُم كُبَراءَ إلّا لِما يَقتَضي استِكبارهُم؛ لأنَّهم لَو لَم يَكونوا كَذَلِكَ؛ لَوُصِفوا بِالغُرورِ والإعجابِ الكاذِبِ[3]، وفي التَّعبير به ماضيًا دلالةٌ على أنَّهم كانوا ضالعين في الاستكبار، وبلغوا في ممارستهِ على المستضعفين مبلغًا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/ 243.
(2) إسماعيل حقي، روح البيان: 7/ 297.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 205.

لا نظيرَ له، ولا حدودَ له لإيغالِهم فيه، وأنَّهم لمّا تحقَّق منهم ذلك؛ حُقَّ لهم العذابُ.

### نوعُ اللام ودلالتُها:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ للتَّبليغِ، أي: لتبليغِ القولِ للمستضْعَفين، وهي لتعدية الفعلِ كذلك، فالَّذين استكبروا يوجِّهون كلامَهم إلى الذين استُضعِفوا بصفةٍ خاصَّةٍ.

### علَّةُ التَّعبير بالموصول:

الـرِّضـا باتِّـبـاعِ الـسّـادةِ هو عـلَّـةُ إجـرامِ المستضعفين

أعاد النَّظمُ التَّعبيرَ عن المستضْعَفين باسم الموصول: (الَّذينَ) في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ مع قُربِ العهدِ به؛ لتأكيد أنَّهم عُرِفوا بهذا الوصف، وبلغوا فيه مبلغًا كبيرًا، لدرجةِ أنَّهم رضوا باتِّباع سادتِهم وكبرائِهم، وقلَّدوهم في كلِّ شيء، وأشركوا باللّه مثلَهم، ورفضوا الإيمانَ بالرُّسل وبالوحي النّازلِ إليهم؛ خوفًا من بطْشِ الكبراء وتنكيلهم، ومع هذا لم يُراعِ المستكبرون ذلك، فأنكروا اتِّهامهم، وأرجعوا سببَ كفرِهم إلى كونهم مجرمين.

### دلالةُ السّين والتّاءِ في ﴿ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾:

الاسـتـضـعـافُ حـالـةٌ تـعـرضُ للنّاسِ فيقبلُها بعضُهم ويأباها آخرون

في التَّعبير بالفعل: ﴿ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ المُقترن بالسّين والتاء دلالةٌ على أنَّهم لم يكونوا في أصل خِلقتهم ضُعفاءَ، لكنَّ الكبراءَ صيَّروهم ضعفاء بما لديهم من نفوذ المالِ أو السُّلطة أو القوَّة، وفي الوقت ذاتِه لم يحصلْ من الذين استُضْعِفوا نوعُ اعتراضٍ على ما يُفعلُ معهم، فالسّينُ والتّاءُ في ﴿ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ للعَدِّ والحُسْبانِ، أَي: الَّذينَ يَعُدُّهُمُ النّاسُ ضُعَفاءَ لا يَؤْبَهُ بِهِم، وإنَّما يَعُدّونهُمُ كَذَلِكَ؛ لأَنَّهم يَسْتَضْعِفونَ أَنْفُسَهُم بِالأَوْلَى؛ لأَنَّهم أَعْلَمُ بِما في أَنْفُسِهِم[1]، وهذا المعنى لا يتحقَّق؛ إذا جاء التَّعبيرُ بفعل الضَّعف الذي يُفهم منهُ أنَّ اللّه تعالى خلقَهُم ضعفاءَ، ولم يستَضْعِفْهم أحدٌ، وهو مخالفٌ للحقيقة والواقع.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 205.

### نكتةُ بناء: ﴿ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ للمفعولِ:

معرفةُ الفاعلِ تُغني عنِ التَّصريحِ بهِ

جيءَ بفعل الاستضعاف مبْنيًّا لِما لَمْ يُسمَّ فاعلُهُ في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾؛ لأنَّ الفاعلَ معروفٌ غيرُ مجهولٍ، وهم الرؤساءُ والكبراءُ وأصحابُ النُّفوذ والتأثير، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ هؤلاءِ المستضعفين عندَهُم قابليَّةُ الضَّعفِ لإنفاذ شهواتِهم، والإتيانِ على مُلهياتِهم، فهُم يقبلونَ بأن يكونوا أتباعًا في مقابلِ أن ينالوا ما يشتهونَ، بقطعِ النَّظرِ عن صفةِ المستكبرِ وسلوكِه.

### بلاغةُ المقابلةِ:

كلُّ استكبارٍ بحاجةٍ إلى أتباعٍ يمدّونه بالقوَّةِ والمنعةِ

بين جملتَي: ﴿ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ و﴿ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ مقابلةٌ، حيث قابل النَّظمُ الكريمُ بين الاستكبارِ وفاعليه مِنَ الرُّؤساء والكبراءِ وأصحابِ النُّفوذ في الطرف الأوَّل، والاستضعافِ ومَنْ وقع عليهم مِنَ الأتباعِ والدَّهماء في الطرف الثّاني، وهي مقابلةٌ تُبرزُ ما لدى الكبراء والمُتَسلِّطين من قوَّة إقناعٍ وخداعٍ استطاعوا به تغريرَ غيرِهم، وتوضِّحُ في الوقت نفسِهِ ما كان عليه الطرفُ الثاني من خُنوع وذِلَّة للشَّهوةِ، أدَّى بهم إلى المصير الذي يعدّونه سببًا في صدِّهم عنِ الإيمان باللّه تعالى وكُتُبِه ورُسُلِه.

### غرضُ همزةِ الاستفهامِ:

عند انكشافِ الحقائق الكبرى يتبرَّأ الظّالمون بعضُهم مِن بعض

هَمْزَةُ الاستِفْهام في قوله تعالى: ﴿أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ﴾ مُستعمَلَةٌ في إنْكارِ قَول المُستَضعَفينَ تبرُّؤًا منهُ، وهَذا الإنكارُ بُهْتانٌ وإنكارٌ للواقِعِ، بَعَثَهُ فيهم خَوفُ إلقاءِ التَّبِعَةِ عَلَيهِم وفَرطُ الغَضَبِ والحَسرَةِ مِن انتقاضِ أَتباعِهِم عَليهِم وزَوالِ حُرمَتِهِم بَينَهُم، فَلَم يَتَمالَكوا ألّا يُكَذِّبوهُم، ويَذيلوا بِتَوريطِهِم[1].

### دلالةُ إيلاءِ الهمزةِ ضميرَ (نَحْنُ):

في إدخال همزةِ الاستفهامِ على ضمير المتكلِّمين (نَحْنُ) دلالةٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 206.

على أنَّ الإنكارَ موجَّهٌ إلى أن يكونوا هم الفاعلين للصَّدِّ، لا إلى الصَّدِّ نفسه، ما يعني أنَّ فعلَ الصَّدِّ حاصلٌ، ولكنَّه من فاعلٍ آخرَ، فقد أولى النَّظم الاسم (نَحْنُ) حرف الإنكار؛ لأنَّ غرضَ المستكبرين إنكارُ أن يكونوا هم الصّادين المستضعَفين عنِ الإيمان، وإثباتُ أنَّ المستضعفين هم الذين صدّوا بأنفسِهم عنهُ، وأنَّهم أَتَوا مِن قبل اختيارِهم[1].

بـعـد عـذابِ الاستضعافِ في الدُّنيا يأتي عذابُ التَّخلّي في الآخرة

### نكتةُ تقديمِ المسند إليه في الآية:

جيء بالمُسنَدِ إليه: ﴿أَنَحْنُ﴾ قبلَ المُسنَدِ الفعليِّ: ﴿صَدَدْنَاكُمْ﴾ في سياقِ الاستفهامِ الإنكاريِّ الَّذي هو في قوَّةِ النَّفي ليُفيدَ تَخصيصَ المُسنَدِ إليه بالخَبرِ الفعليِّ عَلى طَريقَةِ: ما أَنا قُلْتُ هَذا، والمَعنَى: ما صَدَدناكُم ولَكِن صَدَّكُم شَيءٌ آخَرُ[2].

تـخـصـيـصُ نَفْيِ الصّدِّ عن المستكبرين وإثباته لغيرِهم

### بلاغةُ استعمالِ مفردةِ الصَّدِّ:

استعملَ النَّظمُ الكريمُ مفردةَ الصَّدِّ في قوله تعالى: ﴿صَدَدْنَاكُمْ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ المستكبرينَ نفوا عن أنفسِهم أنَّهم صدّوا المستضعفين عن الإيمانِ بالمنعِ والصرفِ والحيلولة، فدلَّ استعمالُ الصَّدِّ على نفي المنعِ وصرفِ المستضعَفين عنِ الإيمانِ، إذ الصَّدُّ هو مقدِّمةُ المنعِ، ولا يكون منعٌ إلّا بعدَ الصَّدِّ عنه، فذكر البدايةَ، وأرادَ الغاية، مع الإيماءِ إلى نفي الإجبارِ؛ إذ الصَّدُّ يومِئُ إلى استعمال القوَّةِ في المَنْعِ عنِ الإيمان، كما قال الزَّمخشريُّ: "أنحن أجبرْناكم، وحلْنا بينكم وبين كونِكم مُمْكَّنين مختارين؟"[3].

نفْيُ الأدنى تنبيهٌ على نفي الأعلى، فالصَّدُّ مقدِّمة المنعِ

### معنى ﴿عَنِ﴾ ودلالته:

دلَّ حرفُ ﴿عَنِ﴾ في قولِه تعالى: ﴿عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ على المجاوزة، وهو أشهرُ معانيه[4]، وفيه معنى الإزاحةِ والمنع، وهو ما يُؤكِّد دلالةَ

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 584.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 206.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 584.
(4) المرادي، الجنى الداني، ص: 245.

فعلِ الصَّدِّ، فكأنَّه قيل: أنحنُ صدَدْناكم، وأزَحْناكم، وأبْعَدْناكم عن الهدى.

**معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾:**

الـهُـدى كـلُّ ما فيه نجاة العبادِ يومَ القيامةِ

تعريفُ لفظِ: ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ إمّا للعهد، والمقصود: القرآنُ الموحى بهِ إلى رسول الله[1]، والذي سبقَ ذِكرُهُ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ: 31]، وسمَّوه هدًى؛ لتيقُّنِهم يوم القيامة مِن صِدْقِ ما أَخبَر بهِ، ويُمكن أنْ تكونَ اللّام لتعريف الجنس، فيكونُ الإنكار شاملًا جنس ما فيه هدايتُهم وصلاحُهم، سواء كان ذلك في كلامِ الله، أو في كلامِ الرُّسلِ صلوات الله وسلامه عليهم، وفي تعبيرهم بـ ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ ما لا يخفى مِن شعورِهِم بالنَّدم على عدم الإيمانِ بهِ ومخالفتِهم ما فيه.

**بلاغةُ التَّهكُّمِ في تقييدِ الصَّدِّ بالظَّرفِ:**

المُستضعَفون امتنعوا عنِ الهُدى قبل مجيئِهِ

قُيِّدَ إنكارُ المستكبرين كونَهم الفاعلين للصَّدِّ بالظَّرف الدّالِّ على البَعْديَّة في قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمْ﴾؛ للدَّلالة على التَّهكُّم، أي: أجاءكم الهدى، وعرفْتموه، ثمَّ نحنُ صدَدْناكم بعد أن كِدتُم تؤمنونَ بهِ؟ فالمقصودُ بالقيدِ إثباتُ أنَّ المستضعَفين رفضوا الهُدى قبل مجيئِهِ، واختاروا طريقَ الضَّلالةِ مع الأسيادِ وأصحابِ النُّفوذ، لا أنَّهم آمنوا، ثمَّ أضلَّهم المستكبرون.

**معنى إضافة ﴿بَعْدَ﴾ إلى ﴿إِذْ﴾:**

إضافةُ الظَّرفِ إلى (إذ) تجرُّده من معنى الظَّرفيَّة

﴿إِذْ﴾ في قَولِهِ تعالى: ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمْ﴾ مُجَرَّدَةٌ عَن مَعنَى الظَّرفيَّةِ، ومَحضَةٌ لِكَونِها اسمَ زَمانٍ غَيرَ ظَرفٍ، وهوَ أَصلُ وضْعِها، ولِهَذا صَحَّتْ إضافَةُ ﴿بَعْدَ﴾ إلَيْها؛ لِأَنَّ الإضافَةَ قَرينَةٌ عَلَى تَجْريدِ

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 293.

﴿إِذْ﴾ مِنْ مَعنَى الظَّرفيَّةِ إلَى مُطلَقِ الزَّمانِ مِثلَ قَولِهِم: حينَئِذٍ ويومَئِذٍ، والتَّقديرُ: بعد زمنِ مَجيئِهِ إيّاكُم[1].

فـ ﴿إِذْ﴾ في الأصلِ ظرفُ زمان، لكن اتَّسع في الزَّمان ما لم يتَّسع في غيره، فأُضيفَ إليها الزَّمانُ، كما أُضيفَ إلى الجُمَلِ في قولك: جئتُك بعد إذْ جاء زيد، وحينئذٍ، ويومَئِذٍ[2]، فكذلك هنا أُضيفَ إليها ﴿بَعْدَ﴾، فأصبحَتْ مجرَّدةً من الزَّمان لإضافةِ ﴿بَعْدَ﴾ إليها.

**بلاغةُ الاستعارةِ ودلالتها:**

في قوله: ﴿جَآءَكُمْ﴾ فيه استعارةٌ مكنيَّةٌ، شُبِّهَ فيها ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ النّازلُ لأجلهم بالإنسان السّاعي إليهم، الحريصِ على مصلحتِهم، المتوجِّه لهم بالنُّصحِ والإرشادِ، ليخرجَهم ممّا هم فيه من ضلالٍ وغوايةٍ، ويأخذَ بأيديهم من طريق الهلاكِ والعذابِ إلى طريق النَّجاة والنَّعيم، فشبَّه الهُدى بشخص يجيءُ، وحذف المشبَّهَ بهِ، ورمزَ لَهُ بفعل المجيءِ.

تشخيصُ الهُدَى بالرجلِ الحريصِ على مصلحة النّاس

**لطيفةُ تعديةِ فعلِ المجيء:**

في تعدية فِعلِ المجيءِ إلى ضمير المُستضعَفينَ المتَّصل في الفعل: ﴿جَآءَكُمْ﴾ إشعارٌ بتحقُّقِ وصولِ الهُدى إليهم، وأنَّهم لو أرادوا الإيمانَ به؛ لَما استطاع أحدٌ - كائنًا مَنْ كان - أنْ يحولَ بينهم وبين ذلك، ولكنَّ الانصرافَ والصَّدَّ كان منهم، والكُفرَ كان برغبتهم، فكأنَّ المستكبرين يُشيرون بأنَّ الهدى قد جاءكم كما جاءَ غيرُكم، فآمنوا، وكفرتم، ولم يجبركم أحدٌ على الكفرِ، بل هو محضُ إرادتكم.

قيامُ حجَّةِ لله تعالى على خلْقِهِ أجمعين

**نوعُ ﴿بَلْ﴾ ومعناها:**

﴿بَلْ﴾ في جملة: ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ حرفُ إضراب، يحكي

إبطالُ اتِّهام المُستَضعفين وإثباتُ خلافِ ادِّعائهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 207.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 584.

النَّظم تعبيرَ المُستَكبِرين به لإبطال اتِّهام الذين استُضعفوا لهم بأنَّهم كانوا السَّببَ في صَدِّهم عن الإيمانِ بالأنبياء والرُّسل، وإثباتِ ما جاء بعده مِنْ أنَّ كُفرَهم كان لتغلغلِ الإجرام في نفوسِهم، واختيارهم الانصرافَ عن الهُدى والرَّشاد إلى الغوايةِ والضَّلال، فنوعُ "﴿بَلْ﴾ إضرابُ إبطالٍ عَنِ الأَمرِ الَّذي دخلَ عَليهِ الاستِفهامُ الإنكاريُّ، أي: ما صَدَدْناكُم بَل كُنْتُم مُجرِمينَ"[1]، فأبطلت ﴿بَلْ﴾ ما قبلَها مِنَ الاتِّهام، وأثبتَتْ حقيقةَ الأمر الذي كان.

### فائدةُ ذكرِ فعل ﴿كُنتُم﴾:

الإجـرامُ شهوةٌ تـسـتـولي عـلى النُّفوسِ المريضة

جاء ذِكرُ فعل ﴿كُنتُم﴾ دونَ الإخبارِ المجرَّد في قوله تعالى: ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾، فلم يقل: (بل أنتم مجرمون)؛ للدَّلالة على أنَّ المستكبرين يَرَون أنَّ السَّببَ الرَّئيسَ في كُفْر الذين استُضعِفوا لا يرجع إلى كونِهم الصّادّين لهم عنِ الإيمان، إنَّما يرجعُ إلى رسوخِ الذين استُضعفوا في الإجرام واعتيادِهم أعمال الكُفر ومَظاهِرَه، حتى صاروا كالمجبولين عليها[2].

### بلاغةُ مفردة ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ مادةً وصيغة:

الكـفـرُ وسيلةٌ لـلـمـجـرمـين ومـراسٌ للطُّغاة الفاسقين

التَّعبيرُ باسم الفاعل المُشتَقِّ: ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ دون الفعلِ دالٌّ على ثبات المستضْعَفين في الإجرام ومداومَتِهم على القيام بكلِّ أعمالِه وأفعالِه، وفي التَّعبيرِ به دون (الكفر) إيذانٌ بتعمُّدهم الكُفْرَ وتَصميمِهم عَليهِ، عَلى بَصيرَةٍ مِنْ أَنْفُسِهم دونَ تَسْويلِ مُسَوِّلٍ[3]؛ لأنَّهم اعتادوا القيامَ بكلِّ الأعمال الإجراميَّة المُستَقْبَحَة، الَّتي يدخل فيها الكفرُ دخولًا أوَّليًّا برهانيًّا، فالكفرُ وسيلةُ المجرمين، وديدنُهم في محاربةِ كلِّ حقٍّ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 207.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 510.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 207.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### الاستكبارُ والاستنكافُ:

الاستكبارُ: يدلُّ عَلَى خِلافِ الصِّغَرِ، ومِنه الكِبرُ: العَظَمَةُ والكِبرياءُ، والاسْتِكْبارُ يقال على وجهين: أحدهما، أن يتشبَّعَ، فيظهر من نفسِهِ ما ليس له، وهو مذمومٌ، وعليه ما وردَ في القرآنِ، قال تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: 34]، وقال: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: 87][1].

الاستكبارُ تعاظمٌ وتعالٍ، والاستنكافُ أنفةٌ وتنَحٍّ

والاستنكافُ: يدلُّ عَلَى قَطْعِ شيءٍ وتَنْحيَتِهِ[2]، يقال: نَكَفْتُ من كذا، واسْتَنْكَفْتُ منه: أَنِفْتُ، قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النساء: 172]، وأصله من: نَكَفْتُ الشَّيءَ: نَحَّيْتُهُ، ومِن النَّكْفِ، وهو تَنْحيَةُ الدَّمْعِ عنِ الخَدِّ بِالإصبعِ"[3].

ولمّا كان السياقُ يتحدَّث عن الذين تشبَّعوا بالكِبر، وأظهروا من أنفسِهم ما ليس لهم، وقاموا باستغلال نفوذِهم؛ جاء التَّعبير بـ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾؛ لمناسبته حالَهم.

### الاستضعافُ والاستكراهُ:

الاستضعافُ: يدلُّ عَلَى خِلافِ القوَّةِ، ومنه: اسْتَضعَفْتُهُ: وجدتُهُ ضَعيفًا، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ [النساء: 75][4].

الاستضعاف معاملةُ النّاس بأنَّهم ضعافٌ، والاستكراهُ حملُ الآخرين على فِعل ما يكرهون

والاستكراهُ: يدلُّ على خِلافِ الرِّضا والمَحَبَّةِ[5]، والإكْراهُ يقال في حمل الإنسان على ما يكرهُهُ، قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور: 33]، فنُهي عن حَمْلِهنَّ على ما فيه كَرْهٌ وكُرْهٌ"[6]، ولمّا كان

(1) الراغب، مفردات القرآن: (كبر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نكف).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (نكف).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (ضعف).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كره).
(6) الراغب، مفردات القرآن: (كره).

كفرُ المستضْعَفين حاصلًا باختيارهم، وبعد وقتٍ كافٍ مِنَ التَّأمُّل والتَّدبُّر، وحصل منهم اتِّباعًا للمستكبرين وتقليدًا؛ كان التَّعبيرُ عنهم بـ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ هو الأنسب؛ لخلوِّه مِنَ الاستكراه، ووجهُ استعمال مفردة الاستضعاف تحريكُ أفئدة الأتباع؛ ليعلموا أنَّهم استُضعفوا باتِّباعِ السّادة في عقلِهم، ونزَّلوا أنفسَهم منزلةَ المستضَعْفين.

### الصَّدُّ والمَنْعُ:

الصدُّ: يدلُّ على الإعراض والعدول، وهوَ مَيلٌ إلَى أَحَدِ الجانِبَين، تَقولُ: صَدَدْتُ فُلانًا عَنِ الأَمْرِ؛ إذا عَدَلْتَهُ عَنْهُ، والصُّدودُ والصَّدُّ قد يكون انصرافًا عنِ الشَّيء وامتناعًا، نحو: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: 61]، وقد يكون صرفًا ومنعًا نحو: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: 24][1].

الصـدُّ إعـراضٌ وصـرف، والمنـعُ خلافُ الإعطاء

والمنع: يدلُّ على خِلاف الإعْطاءِ، يُقال: مَنَعْتُهُ الشَّيْءَ مَنْعًا، وهو مانِعٌ ومَنّاعٌ، أي: بخيل، قال تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: 7]، وقال: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [ق: 25][2]، ولمّا كان قصدُ المستكبرين إنكارَ اتِّهام المُسْتَضْعَفين بأنَّهم السَّببُ في صرْفِهم عن الإيمانِ ومنْعِهم منه؛ كان التَّعبيرُ بـ (الصَّدِّ) أدلَّ على ذلك، وأنسبَ مِنَ المنع.

(1) الراغب، مفردات القرآن: (صد).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، مفردات القرآن: (منع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والأربعون،
سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 46 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-99-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 46 : المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-99-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0986397 بتاريخ 2025/01/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»